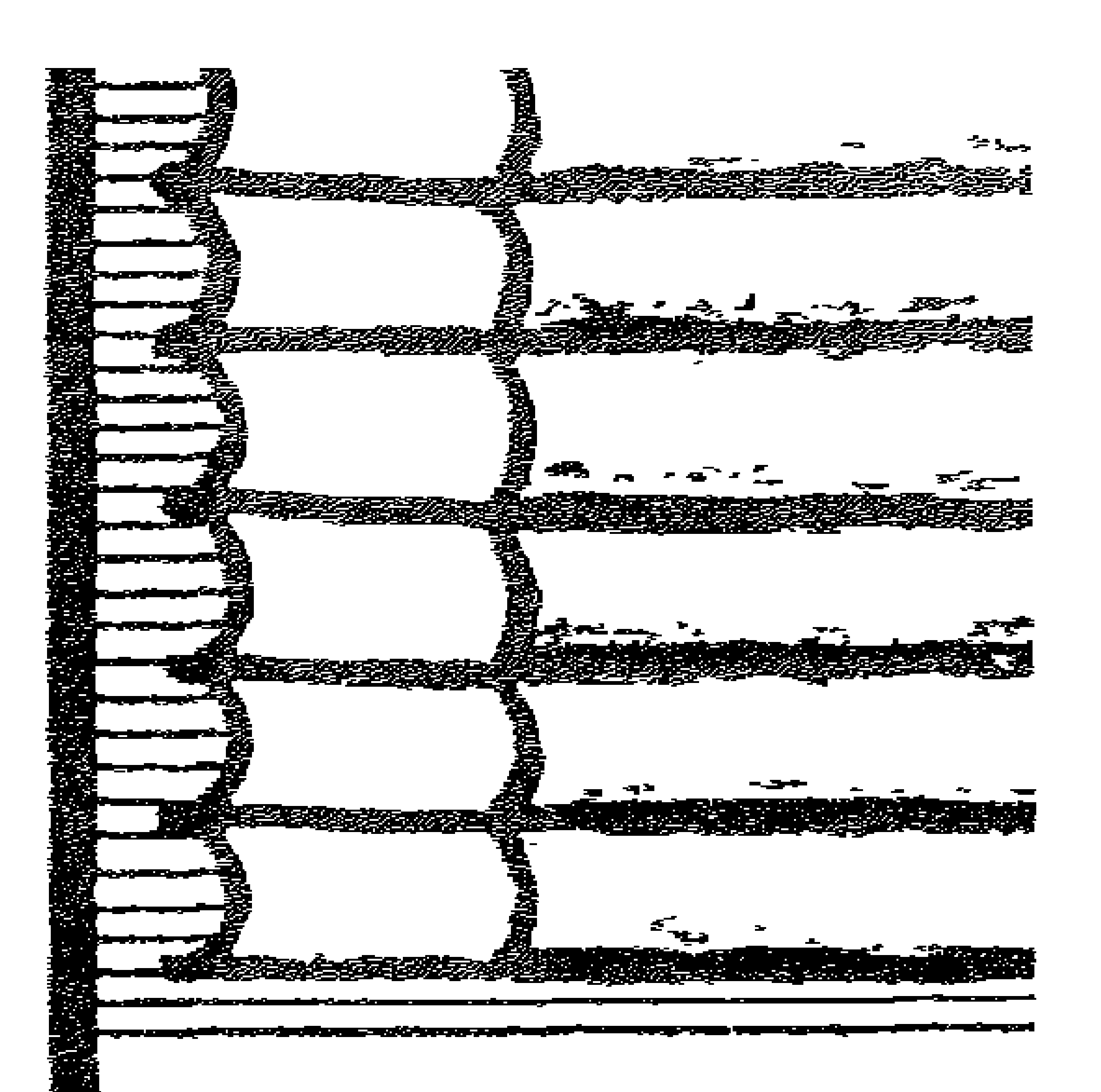


دراسات في الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة

السلام في الإسلام

"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"

محمد فرج

العدد الخامس والعشرون

دراسات في الاسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السلام في الاسلام

"وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"

محمد فرج

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة



« وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ . . . »

« صدق الله العظيم »

حقيقة واضحة لا سبيل الى انكارها هى أن الاسلام لم يكن دين اعتداء بل كان وما زال دين سلام وتسامح ومودة .. يهدف الى ان يعيش الناس جميعا أخوة متضامنين متحابين يسعون فيما بينهم الى تقدم البشرية وتأكيد معانى الانسانية وتحقيق المثل الفاضلة من أجل رفعة الانسان وتقدمه .

هذه الحقيقة يجب ان يدركها المسلمون . وان يدركها هؤلاء الذين لم يؤمنوا بعد بأن الاسلام دين سلام .

مقاومة الدعوة إلى الإسلام

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنـاءهم وان فريقـا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمـون »

« قرآن كريم »

حين استشرى الشر وعمت الفوضى وانغمست الجزيرة العربية فى ظلام دامس : واصبح لا عاصم للخلق ولا داعى للخير ، وصار العالم فى فتنة هوجاء وداهية دهياء تلفتت القلوب المستنيرة ــ وقد كانت قليلة ــ تلتمس داعى الهدى وتتوقع القلوب المستنيرة وتنتظر بين لحظة وأخرى ظهور رسول جديد تحدثت بظهوره تنبؤات مختلفة ، وارهاصات متعددة ..

لقد كان القوم فى انتظار رسول جديد يأخذ بأيديهم من حياة الرذيلة والفساد والفوضى التى كانوا يعانونها الى حياة أنظف وأكرم .. وكانوا يتوقعون ظهور الرسول حتى أنه جاء فى تاريخ الطبرى « ان أسعد أبو كرب أحد ملوك اليمن قتل له ابن غيلة فى يثرب فقرر هدمها وقطع نخيلها واستئصال أهلها ، وجهز جيشا كبيرا وسار به الى هناك حيث تجمع أهلها بقيادة عمرو بن الطلة احد بنى النجار وأثناء القتال جاءه حبران من أحبار اليهود من بنى قريظة وقالا له : « أيها الملك ، لا تفعل ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نؤمن عليك عاجل العقوبة ؟ » فقال لهما : « ولم ذلك ؟ » فقالا : « هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحى من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره » .

وولد محمد بن عبد الله

وكانت الاحبار من اليهود والرهبان والنصارى والكهان من العرب يعلمون علم اليقين مبعث الرسول بأن نبيا سيبعث وتحدثوا

عن ذلك لما تقارب زمانه ((**الذين آتيناهم الكتـــاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**)) ..

وشب محمد فى رعاية جده حتى مات فتولى أمر رعايته عمه ابو طالب وصحبه أبو طالب معه وهو فى التاسعة الى الشام ، فلما نزل الركب بصرى مر بها راهب هو بحيرا قيل عنه انه كان ثانى اثنين من مؤمنى زمانه ، صلاحا وتقوى وسعة علم وبعد نظر ، وانه كان نسطوريا من اتباع اريوس فى التوحيد ينكر ألوهيـــة المسيح وعقيدة التثليث ، وانه كان عالما فلكيا منجما وحاسبـــا ساحرا ، وانه كان يعتقد أن الله ظهر له وأنبأه أنه سيكون هاديا لآل أسماعيل الى الدين المسيحى .

وتقول بعض الروايات ان « بحيرا » هذا قد نظر فى الغـــلام « محمد » دلائل النبوة ، وانه قال لعمه أبى طالب :

« ارجع بابن أخيك الى بلده وأحذر عليه اليهود فوالله لئن راوه وعرفوا ما عرفت ليبغينه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هـــذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده » .

وتحققت نبوءة بحـــيرا ..

فقد كان من عادة العرب أن ينقطع مفكروهم للعبادة زمنا فى كل عام يقضونه بعيدا عن الناس فى خلوة يتقربون الى آلهتـــهم بالزهد والدعاء ، ويتوجهون اليها بقلوبهم ويلتمسون من عنـــدها الخير والحكمة (كان هذا الانقطاع للعبادة يسمى التحنث) .

وكان الرسول كثير التأمل والتفكير فى أسرار الكون ، ووجد فى التحنث فرصة تمكنه من الامعان فيما شغلت به نفسه من تفكير وتأمل ، ووجد فى غار حراء المكان المناسب للانقطاع والتحنث ،

فعنده ينقطع لغو الناس وحديثهم الباطل ، ويبـدأ السكون الشامل ، فكان يذهب اليه طول شهر رمضان من كل سنة وقد حمل معه القليل من الزاد ، ويبقى متأملا متعبدا بعيدا عن ضجة الناس وضوضاء الحياة يفكر فى الكون المحيط به .. فى السماء .. النجوم .. القمر .. الشمس .. الصحراء .. البحر .. وكان يلتمس الحقيقة العليا .

وكان لهذا يتردد كل عام على حراء يتعبد ويصقل قلبـه ، وينقى روحه ويتقرب من الحق جهده ، ويبتعد عن الباطل حتى وصل الى مرتبة عالية من الصفاء .

وبعد سنوات من الانقطاع والتعبد صار يرى فى نومه رؤيا صادقة وحقيقة واضحة ، ويرى باطل الحياة وغرور زخرفهـا ، ويدرك أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى وأن حياتهم قد أفسدها الخضوع لفكرة الأصنام .

وفيما هو فى الغار جاءه الروح الأمين بوحى من السماء ، وبشره بأنه رسول الله الى العالمين .

وعندما تحدث الرسول فى هذا الأمر الى زوجته خديجـة قالت له : « أبشر يا بن عم واثبت فوالذى نفس خديجـة بيـده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ووالله لا يخزنك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقوى الضعيف ، وتعين على الدهر ، ولا مراء أن الله اختارك لهداية قومك » .

وعندما روت خديجة على ورقة بن نوفل ما حدث للرسول قال « قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيـده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وانه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت » .

وقال ورقة للرسول : « **ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك .. نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا وعودى، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا** » وقال له أيضا : « والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه » .

وبدأت الدعوة للدين الجديد .

وكان لا بد لهذه الدعوة من أن تقوم على انقاض العبادة السائدة فى الجزيرة العربية .. ودخل كثيرون فى الاسلام .. يذهبون الى الرسول يستمعون الى القرآن ويعرفون الاسس التى يقوم عليها الدين الجديد ، ويقتنعون بالدعوة الجديدة ويعلنون اسلامهم عن ثقة .

وأحس اشراف قريش ــ وعلى رأسهم ابو لهب وأبو سفيان ــ بخطورة الدعوة الجديدة ، وأدركوا أن قوة الدين الجديد تزيد دياناتهم ضعفا ووهنا ، فقرروا أن يدافعوا عن دينهم ودين آبائهم وأجدادهم . .

وكيف يكون الدفاع عنه الا بمقاومة الرسول ومقاومة دعوته ومناضلته حتى يحبطوا عزيمته ويضعفوا من شأنه ويهدموا دعوته .

وكان أول ما فعلوه فى هذا المجال ــ مجال المقاومة للدين الجديد ــ ان أغروا شعراءهم ليسفهوا آراءه وينتقدوا تعاليمه ؛ وليوقعوا الفرقة بينه وبين باقى العرب .. وتولى هذه الحملة ــ حملة الدعاية والنقد ــ أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبعرى .

ايعاد وتهديد :

وبدأت عروض قريش تنهال على ابى طالب .. مرة يقولون : « يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلاف فسنكفيكه » .. ومرة يقولون « .. لقد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك حتى يهلك أحد الفريقين » .. ومرة ثالثة يعرضون عليه أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلمهم الرسول ليقتلوه .

وفى كل مرة كان أبو طالب لا يجيبهم الى طلبهم .. فى المرة الأولى ردهم ردا لطيفا ، وفى الثانية تحدث مع ابن أخيه ثم لم يتمالك مشاعره على أثر سماعه رأيه القاطع فى أمر الدعوة ، **((والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك فيه ما تركته))** فقال له : « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا » وأنشد :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم   حتى أوسد فى التراب دفينا

وكان رد أبى طالب فى المرة الثالثة عنيفا اذ قال لقريش : بئس والله ما تسومونى .. أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه .. هذا والله ما لا يكون أبدا » .

اغراء :

ورمت قريش بسهمها فى مجال الاغراء ، وبذلت للرسول من وسائل الاغراء ما يكفى للاقناع .. بعثوا اليه بعتبة بن ربيعة يعرض عليه المال الكثير والملك الكبير والشرف العريض .. قال له « يا ابن أخى ، انك منا حيث قد علمت فى العشيرة والمكان فى

النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به آلهتهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .. يا ابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه » .. وتوقع عتبة أن يسعد الرسول بهذه العروض فيقبل على طلبها فى سبيل تخليه عن رسالته التى كلف بها من السماء .. واستمع عتبة الى الرسول يتلو عليه : ((**حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون**)) .

ومن وسائل الاغراء أيضا أن اعترض الاسود بن المطلب والوليد ابن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل طواف الرسول بالكعبة وقالوا له : « هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ،فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ،وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه » .

وجاءهم رد الرسول : ((**قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد**)) .

تعذيب :

ولم يبق أمام قريش الا التعذيب .. وتعرض الرسول وقومه لأشد أنواع التعذيب والتنكيل ..

وكان قرار المقاطعة هو أول هذه الأنواع ، فقد قررت قريش مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب اقتصاديا فلا يبيعــون لهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجوهم ولا يتزوجون منهم ، وكتبوا ما اتفقوا عليه فى صحيفة علقوها فى جوف الكعبة .. واستمرت المقاطعــة ثلاث سنوات حتى اجتمع فى الحرم بعض اشراف قريش (هشام ابن عمر وابن الحارث زهير بن أمية ، والمعطم بن عدى وأبو البحترى ابن هشام ، وزمعة بن الاسود) وقد هالهم ما قاساه بنو هاشم والمطلب فنقضوا الصحيفة . اذ قال هشام لزهير : « يا زهــير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وأخوالك ما قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون ؟ قال : « ويلك يا هشام فماذا اصنع ؟ انما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجلٌ آخر لقمت أنقضهــا » وانضم اليهما مطعم وزهير وأبو البحترى وزمعة واجمعوا أمرهم وتعاهدوا على نقض الصحيفة . وقال زهير : « أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم » . فلما أصبحوا غدا زهير وطاف بالبيت ثم أقبل على الناس ثم قال : « يا أهل مكة أنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى ؛ لا يباعون ولا يبتاع لهم والله لا أقعـد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة » .

فقام أبو جهل ثائرا وقال : « كذبت والله لا تشق » . وقال زمعة : « انه والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كتبت » . وقال البحترى : « صدق زمعة » وقال المطعـم : « صدقتهما وكذب من قال غير ذلك » . فقال أبو جهل : « هذا أمر قضى بليل » . وقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها كلهـــا الاعبارة « باسمك اللهم » .

وآذت قريش الرسول وحاول عقبة بن أبى معيط يخنقه مرة، وما زال يشد ثوبه عليه حتى جحظت عينـــاه ، وأسرع أبو بكر فخلاه عنه وهو يقول : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .

وحاول أبو جهل قتل الرسول وهو بالمسجد يصلى فحمل حجرا ضخما ليلقيه على رأسه وهو ساجد ، ولما هم بالقائه رجع مذعورا وقال : « اعترضنى دون محمد فحل هائل من الابل هم أن يأكلنى » .

وخرج عمر بن الخطاب شاهرا سيفه ليقتل الرسول وفى خلال بحثه أنهى اليه رجل أن اخته فاطمة وزوجها قد أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فأسرع الى بيت اخته ودخل عليها وهى تطالع مع زوجها سورة طه ، فقام اليها وضربها وشجها ثم عاد فندم على ما صنعه وقرأ فى الصحيفة : **« طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى »** . وخرج عمر من بيت أخته باحثا عن رسول الله لا ليقتله وانما ليعلن اسلامه .

وبذلت قريش جهودا لتسىء الى الدعوة المحمدية عند الوافدين على مكة خلال موسم الحج وفى سائر أيام السنة .. قدم مكة الطفيل بن عمرو وهو سيد فى قومه وتلقاه القرشيون وأخذوا يحذرونه من لقاء محمد ومن الاستماع اليه ، وقالوا كذبا أنه يفرق بين المرء وأبيه وبينه وبين زوجه ، فقال لهم الطفيل : « أنا رجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع هذا الرجل » وسمع الطفيل الرسول فعاد الى قومه وقد أسلم باسلامه أهله وقومه .

وجاء مكة مرة وفد من النصارى والتقوا بالرسول واستمعوا الى القرآن ففاضت أعينهم من الدمع واستجابوا للدعوة الجديدة وأسلموا ، فجاءهم أبو جهل وقال : « خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهلكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال » فقالوا : « سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه » .

ووقفت قريش حائلا بين محمد وبين الوافدين الى مكة من الخزرج والأوس ولكنهم لم يفعلوا شيئا فقد استجابت الوفود لدعوة الرسول ودخلت فى الاسلام .

وهكذا كان الرسول يسير فى طريقه الى قلوب الانصار فيغمرها نورا ويملأها يقينا واستبشارا . وفى ذات الوقت كانت قريش قد فشلت فى كل وسائلها .. أخفق الاغراء والارهاب والتعذيب والتهديد فى ايقافه هذا السيل القوى ، وأدركت ان ما تصبو اليه بعيد المنال وانها قد مهدت للدين الجديد ، فعادت سيرتها الأولى تصب جام غضبها على المؤمنين وتبذل غاية وسعها للتنكيل بهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم .

وتعرض المسلمون لأفظع وأشد أنواع التعذيب وألوانه ، فقد وثبت كل قبيلة على مرآى من رجالها فآذوهم وعذبوهم وحكموا عليهم بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك من الوان العذاب حتى أن الواحد ما كان يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضرب .. لقد جعلوا فى عنق بلال حبلا ودفعوا به الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به شعاب مكة ، وما لاقاه آل عمار من العذاب يفوق ما يحتمله البشر ، واضطر أبو بكر الى شراء جماعة ممن تولتهم قريش بالتعذيب فاشترى بلالا وعامر بن فهيرة وابا فكيهة وامرأتين هما زنيرة وأم عنبس » .

هجرة الحبشة :

ومرت الأيام والمسلمون فى شدة يقاسون التعذيب والبلاء .

وأمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة .. قال لهم : « تفرقوا فى الأرض فان الله تعالى سيجمعكم » .. « اخرجوا الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

ووجد المهاجرون الأوائل الأمان عند النجاشي ، فقد حدثه جعفر بن ابى طالب باسم اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان « كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى بالفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونمنع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك » . فقال النجاشي لجعفر : « ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .. » .

وشهدت دار الندوة اجتماعا خطيرا حضره بنو عبد شمس وبنو نوفل وبنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو سهم وتشاوروا فيما بينهم « ان هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم فأنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا » ، وكان الرأى لأبى جهل : « أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كلا منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم » ووافق

المجتمعون على هذا الرأى فان قتل رأس الدعوة قتـــل للدعوة كلها ، ولكن تدبير السماء كان أسبق الى الحذر .. وكشف الله لرسوله مكر القوم ..

الهجرة الى المدينة :

وتمت المعجزة الكبرى فى تاريخ الاسلام .

تمت الهجرة الى المدينة .

وخرج الرسول من مكة الى المدينة بعد أن قضى بهـــا ثلاث عشرة سنة حاربته فيها قريش حربا لا هوادة فيها ، صورها وليام موير فى قوله : « احتمل المؤمنون العذاب بروح الصبر والسماح فمائة رجل وامرأة آثروا نبذ الوطن وراءهم ظهريا وسعوا الى معزل بالنفى الى الحبشة فرارا من ان يفتنوا فى دينهم العزيز عليهـم حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، فاما أن يعفى الزمان على العاصفة فيخمدها ، واما أن يستنفد معينها فتبيد ، وها هم أولاء الآن فى عدد أكبر بكثير وفيهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفســه يخرجون من مدينتهم الوالهين بها فرارا بدينهم الى المدينة » .

ترى لماذا وقفت قريش أمام الدعوة الجديدة تقاومها وتناهضها وتعمل على تدميرها وتقويضها وتثـــير المشاكل والصعوبات فى طريقهـــا ؟؟ .

يحصر المؤرخون والباحثون الدوافع فى الآتى :

١ ـ ظل العرب فترة طويلة غارقين فى الشرك ، منغمسين فى عبادة الاوثان والاصنام ،عاكفين على شرب الخمر ولعب الميسر وغير ذلك من العادات القبيحة . كانوا كما لاحظ بوزورت سميث « ماديين على مبدأ كل واشرب . لم يكن لديهم ايمان أو شـــعور بالمسئولية عما يقترفونه من ذنوب ، كانوا يعتقدون فى الجـــن

والشياطين ونسبوا الامراض الى الارواح الخبيثة ، وتفشى الجهل بينهم حتى أن اعرق الناس شرفا كان يعد الجهل مفخرة ، وكانت الرذيلة متفشية والروابط الجنسية منحلة وما كان الزانى يلقى عقابا ، ولم يكن للمعنويات عندهم معيار ، ولم يكن البغاء بالأمر الذى يخدش الشرف الى حد أن رجالا من الاعلام البارزين لم يجدوا غضاضة فى ادارة المواخير ، وكانت النساء فى الدرك الأسفل من الحطة فلم يقم لهن وزن الا من ناحية انهن متاع ، وعدت المرأة جزءا من التركة يحق للوارث أن يتصرف فيها ولو لم يتخذها زوجا له .. » .

وكان العرب اذن فى جاهليتهم يمثلون مجتمعا منحلا لا ضابط فيه ولا رابط ولا مكان فيه للضمير الانسانى ولا وجود فيه للقيم الاخلاقية .. كانوا يعشقون الخمر ويولعون بها وجعلوا تقديمها للضيف كرما غاية الكرم واعتبر الاقبال عليها وكثرة شربها مباحا للفخر . وكان الميسر عادة متأصلة بينهم اذ كانوا يوسرون ليلا ونهارا .. وكان الطيش شائعا حيث لا حكومة تردع ولا قانون يمنع وحيث يعتقد كل فرد فى نفسه السمو والسيادة والقوة وعراقة المحتد وحيث يتوقع كل فرد أن تنصره قبيلته فيثور معتمدا على اسناده وإعوانه .

وجاء الاسلام هاديا ومرشدا لهم واعلن الرسول ان رسالته تتجه الى هداية الناس نحو الطريق القويم والصراط المستقيم وتطهيرهم من العادات الذميمة وعلاجهم من سوآتهم وانقاذ نفوسهم من الضغينة والحقد والحسد .. وهبت البلاد فى وجه الدعوة الجديدة ووقفت تقاومها وبدأ الصراع عنيفا بين المبادىء التى آمنوا بها وعاشوا حياتهم فى ظلالها وبين المبادىء الجديدة التى يدعو اليها الإسلام ولم تكن هذه المبادىء الجديدة سهلة القبول لدى قوم عرفوا بالعناد وشدة المراس .

كان الرق شائعا فى الجزيرة العربيـــة ـ ككل مكان آخر فى العالم وقت ذاك ـ وكانت النظرة اليه قائمة على اعتباره سلعة أو حيوانا .. وجاء الاسلام فدعا الى المساواة .. لا فرق بين النـــاس .. لا فـرق بين هـــذا وذاك .. لا مكـان لعبـــد وسيد .. الكل سواسية كأسنان المشط .. لا يميز أحدهم عن الآخر الا الصلاح ؛ صلاح النفس وتقواها ومدى تقربهـا الى الله وتنفيذها لتعاليمه واتباعها لرسالة رسوله .. كل هذا فى ضوء المبدأ الجديد الذى جاء به الاسلام ونادى به « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

اذن فالاسلام ينظر الى الناس باعتبار انسانيتهم ، ويقـرب بينهم ، ويزيل تلك الحواجز المصطنعة بين طبقاتهم ، حتى يذوب الجميع وينصهروا فى بوتقة الاسلام ويخـــرج منهم المجتمـــع الاسلامى الكريم .. ومن ثم فقد أعطى الاسلام الفرصة لأى من العبيد ليسود اذا كان صالحا تقيا كريما ورعا يعبد الله ويؤدى الامانات ويقيم الصلاة ويعمل فى حدود أركان الاسلام ومبادئه .

وكانت هذه الدعوة الجديدة ثورة اصلاحية كبرى فى الجزيرة جزعت لها قلوب السادة فأبوا أن يعترفوا بالوضع الجديد وان يتنازلوا عن مكانتهم لبعض عبيدهم وأن يجتمعوا واياهم فى صعيد واحـــد .

وكان الحرص على النظام القديم من أهم العوامل التى دعت قريشا لمحاربة الدين الجديد والبقاء على ديانتهم التى كانت تقرر نظام السادة والعبيد .

٣ ـ وثمة عامل ثالث ، مبعثه الحقد والحسد ، فان جمـاعة من وجوه القوم كانوا قد استشرفوا لمقام النبوة ، وأرادوا أن يكون لهم شرف الرسالة .. فلم لم تكن فيهم ، واختار الله محمداً .. حنقوا وعاندوا .. من هؤلاء أمية بن أبى الصلت .. والوليـــد بن المغيرة الذى يقول ثائرا :

« أينزل على محمد وأترك أنا كبير قريش وسيدها — ويترك أبو مسعود بن عمرو الثقفى سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين » .. وها هو ذا الاخنس يذهب الى ابى جهل ويقول له : « يا أبا الحكم ما رايك فيما سمعنا عن محمد » » فيجيبه أبو جهل : « ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف .. أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى تدرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه » .

لقد دعا قريشا الى تكذيب الرسول ومحاربته حسدهم وحقدهم لأن الله عز وجل اصطفاه لرسالته دونهم : **((وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم))** .

اذن فالغيرة والحسد والحقد والتنافس كانت من العوامل التى دعت الى رفض دعوة محمد ومحاربته بغية القضاء عليها .. ومما لا سبيل الى انكاره ان هذه الصفات المذمومة كانت تجد لها وعيا طيبا فى بلاد العرب وقت الجاهلية وكان التخلص منها يحتاج الي تهذيب طويل الأجل يصقل الأفئدة ويرفع حكم العقل على نزعات الهوى ويسمو بالعاطفة والروح الى مكانة تجعل المرء يرى الحقيقة على لسان خصمه وعدوه كما هى تماما على لسان صديقه ووليه .

٤ — كان العرب فى جاهليتهم مكبين على الجهل مسرفين فيه ، اتخذوا من الربا وسيلة للثراء ، وانعدمت عندهم القيم الاخلاقية ويقظة الضمير فهم لا يترددون فى الاتيان بأسوأ الاعمال وأحط التصرفات ، كان يقتل الفرد منهم وينهب ويسرق ويرتكب الفحشاء ويأتى بالموبقات ، وكان مما يدفعهم الى ذلك ويشجعهم عليه انهم كانوا يعتقدون ان زيارة واحدة الى اصنامهم وضرب القداح من شأنها أن يكفر عن سيئاتهم وذنوبهم .

ولما جاء الرسول كان القرآن هو معجزته بل هو دستور دعوته الجديدة أعلنت آيات القرآن ان الله بالمرصاد وانه تعالى يمهل ولا يهمل وان أعمال الناس هى الشفيع لهم يوم يبعثون .. وادرك العرب أن هناك حسابا على الأعمال والأقوال .. هكذا كان يعلن الدين الجديد ، ولا بد لهم من ان يتخلصوا من عاداتهم واعمالهم وأمر الجاهلية ، وأن يبدأوا حياة جديدة نظيفة .. وكان أمر الحساب والعقاب جديدا عليهم مستغربا بالنسبة لهم .. كيف لهم أن يتنازلوا عن عاداتهم وما نشأوا عليه .. لقد فزعت قلوبهم وهم يستمعون الى آيات القرآن تصور لهم يوم الحساب وتقدم صورة حية لما سيحدث فى هذا اليوم الخطير . **((فاذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة)) .**

.. ((يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبته وأخيه . وفصيلته التى تؤويه . ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه . كلا انها لظى . نزاعة للشوى . تدعو من أدبر وتولى . وجمع فأوعى ..))

((واما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم ها هنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون)) .

((وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية)) .

هذه الآيات وغيرها دفعت بالذعر الى نفوس العرب فخافوا وادى هذا الخوف بهم الى تكذيب الرسول فى شدة ومناواته فى عنف والتأليب عليه فى قسوة قدر استطاعتهم . فهم كانوا لا يعرفون البعث ولا يؤمنون به ولا يدركون أن عملهم فى الحياة محسوب عليهم بعد وفاتهم ، ولم يدر فى خواطرهم البعث والنشور يوم ينفخ فى الصور ، ولم يمر ببالهم مبدأ الجزاء بعد الموت ولم يفهموا شيئا عن الجنة التى أعدت للمتقين وجهنم التى أعدت للكافرين . لهذا كله عبثت النفوس ضد الدين الجديد خوفا من المبادىء التى ينادى بها والمصير المؤلم الذى صوره للعاصين منهم « **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ..** »

٥ ـ كان العرب فى جاهليتهم يعبدون الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا ترزق .. كانوا يعبدون مناة واللات والعزى ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا .. كانوا يعبدونها مخلصين ويعظمونها تعظيمهم للحرم حتى ان أبا أحيحة عندما مرض مرضه الأخير دخل عليه أبو لهب فوجده يبكى فسأله « ما يبكيك يا أبا أحيحة ؟ أمن الموت تبكى ولا بد منه ؟ فأجابه « لا ولكنى أخاف ألا تعبد العزى بعدى » فقال له ابو لهب « والله لا نترك عبادتها لموتك » فرد عليه أبو أحيحة « الآن علمت أن لى خليفة » .

وجاء الاسلام وكان الركن الأول فيه شهادة أن لا اله الا الله، وهذه الشهادة تقضى على ما كان لمناة واللات والعزى ولغيرها من الأصنام من مكانة فى نفوس العرب ، وهذا أمر خطير لم يتقبله العرب ورفضوا أن يتنازلوا عن عبادة هذه الحجارة الصماء التى اتخذوها وسيلة يتقربون بها الى الله زلفى .

ولم تكن عبادة الأصنام وحدها فى جزيرة العرب وانما انتشرت فى وقت ظهور الاسلام عبادات أخرى كعبادة الكواكب والنجوم والشمس والقمر . كما انتشرت الديانة الزرادشتية والديانة

اليهودية وكذلك النصرانية ، وأبى العرب الذين يدينـــون بهذه الديانات كلها أن يتنازلوا عن عباداتهم وأن يتحولوا عنهـــا وأن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم من أجل دين جديد يدعو اليه رجل من بينهم ٠

لهذا قاوم العرب جميعا على اختلاف دياناتهم الدعوة الجديدة واتحدوا جميعا وتضامنوا لكى يقضوا على الدين الجديد الذى جاء ليقضى على دياناتهم ومعتقداتهم « **ولما جاءهم كتـــاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** » ٠

لماذا شرعت الحرب

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »

« قرآن كريم »

لقد شاءت قريش أن تستمر فى عدائها للرســـول وللدعوة الجديدة وخاصة انها رأت فى هجرته ورجاله الى المدينة خطرا يهدد حياتها ودينها • لقد كان الرسول يزداد قوة ، وكلما مر الوقت زاد أنصاره عددا وزاد الداخلون فى الاسلام •

وتأكدت قريش أن ما اتخذته من خطوات سابقة كالاغراء ثم المقاطعة ثم التهديد لم يكن لها أثر فى ايقاف سيل الدعوة ، ولم تبق أمامها سوى خطوة واحدة هى الحرب ، ولم تجد مفرا من أن تخطو هذه الخطوة يداعبها أمل القضاء على محمد وأصحابه فيتم بذلك القضاء على الدين الجديد ••

ولهذا بدأت قريش تعد العدة للحرب ولم يكن الرسول راغبا فى أن يسير فى ذات الاتجاه الذى رغبته قريش ، فهو فى جميع المراحل السابقة صمد وصبر وتحمل الأذى والعذاب من أجـــل تحقيق رسالته ، أما وقد أصبح الأمر أمر حرب عامة فلم يجد صلوات الله عليه بدا من أن يسلك ذات الطريق رغم انه لم يفكر منذ بدء الدعوة فى اتخاذ الحرب وسيلة لنشر دعوته لأن قوام هذه الدعوة السلام ، ولهذا فقد كان يرى فى الحرب ضرورة بغيضـة يلجأ اليها ولا سبيل الى تجنبها •

ولقد ثبت الدليل القاطع أن الرسول لم يكن معتديا ، وواقع الأمر أن الاذن بالقتال نزل بعد أن أعلنت قريش الحرب عليه حربا عنيفـة قاسية لا هوادة فيها ، ويوضح القرآن ذلك « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** » •

ولم يكن هناك مفر من أن يقرر الاسلام « **فان قاتلوكم فاقتلوهم** » و« **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » .

وهكذا فرضت الحرب في القرآن على المسلمين وهم نافرون منها ، ولهذا بذل الرسول الكريم أقصى ما في وسعه من جهد للحد من فظائعها ولحصرها في أضيق نطاق مستطاع .

وكان الاذن بالقتال في شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة وكان أمر القتال أن يقاتل المسلمون من يقاتلهم دون أن يبدأوا هم بالقتال ذلك لأن ذلك يكون دفاعا عن أنفسهم ، والدفاع عن النفس واجب وحق مشروع .

وأمر القرآن المسلمين ألا يقاتلوا في المسجد الحرام أو الأشهر الحرم الا اذا قوتلوا فيها : « **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم** » ... « **الشهر الحرام بالشهر الحرام** »

ثم تطور الأمر بالقتال وأذن للنبي في القتال مطلقا من غير شرط ولا زمان ولا مكان « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** » .. « **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** » .

وسبب شرعية القتال كما أوضحنا هو رد الاعتداء وصيانة الدعوة وحماية الداخلين في الاسلام وفوق هذه الأسباب سبب آخر هو أن الله عز وجل لم يشأ أن تعامل قريش معاملة الأمم السابقة في الزمن الغابر ، ولم يشأ تبارك وتعالى أن يعاتبها على أعمالها من تكذيب الرسول وايقاع الأذى به وبمن يتبعه ، ولم يشأ أن ينزل عليها العذاب من السماء أو يخسف بها الأرض فيهلكها كما أهلك من قبلها من الأمم الذين كذبوا رسله فحق عليهم

العذاب « **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** » ولم يشـــأ الله أن يعاملهم كما عامل أمثال :

(أ) عاد ‥ لما بعث اليهم هودا عليه السلام ، أرسل عليهـم ريحا قوية شديدة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حتى أهلكهم « **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ٠ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حســـوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية** » ٠

(ب) ثمود ‥ لما بعث الله اليهم صالحا فلم يتبعوه ‥ أرسل الله عليهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وهلكوا « **فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية** » ٠

(جـ) قوم نوح ‥‥ وقد أهلكهم الله بالطوفان « **فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ٠ ثم أغرقنا بعد الباقين** » ٠

(د) قوم لوط ‥ وقد أهلـــكهم الله بالخسف والدمـار والنيران « **اذ نجيناه وأهله أجمعين ٠ الا عجـــوزا فى الغابرين ٠ ثم دمرنا الآخرين** » ٠

(هـ) قوم شعيب ‥ وقد أهلـــكهم الله « **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم** » ٠

(و) وقوم فرعون ‥ وقد أهلكهم الله بالغرق « **وأنجينـا موسى ومن معه أجمعين ‥ ثم أغرقنا الآخرين** » ٠

لم يشأ الله أن يعامل قوم محمد كما عامل من قبلهم، فان الرسول الكريم لم يدع عليهم بالهلاك كما فعل الرسول من قبله ، وانما

كان يدعو لهم بالهداية فشرع الله القتال لتأديبهم وللدفاع عن حياة الرسول ومن اتبعه من المؤمنين ولاعلاء كلمة الله عز وجل .

وبدلا من أن ينزل الله عليهم العذاب ويهلكهم ويجعلهم عبرة لمن يجيء بعدهم ويعاملهم معاملة الأمم السابقة ، أراد الله بهم رحمة ، فلما دعاهم الرسول الى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والاقلاع عما هم فيه من طغيان وفساد وانحلال أبوا وتكبروا وتمادوا فى اثمهم وأنزلوا به وبمن اتبعه أشد العذاب ، فأمر المسلمين بقتالهم دون اهلاكهم حتى يكون هناك مجال للتفكير فيما يدعوهم اليه الرسول لعلهم يرجعون الى رشدهم ويسلمون ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها** » .

ولقد اتفق أكثر المؤرخين على أن الرسول لم يكن له غرض للحرب أو رغبة فى القتال بل كانت أمنيته أن يؤدى رسالته كما أمره الله تعالى فى يسر وهدوء .. لم يكن الرسول يفكر فى مال أو ملك أو جاه أو تجارة وانما كان همه الأكبر هو وقاية نفسه ورجاله وتوفير الطمأنينة لمن يدخلون فى دينه وكفالة الحرية لهم فى عقيدتهم .. كان يرى أن تكفل الحرية للجميع .. حرية الرأى وحرية الدعوة الى الدين .. وكان عليه الصلاة والسلام يرى أن هذه الحرية كفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال .. وهذه الفكرة الجليلة هى التى باعدت بينه وبين الحرب منذ بدأت قريش معارضتها للدعوة وايذاءها للرسول ولصحبه .. كان عليه الصلاة والسلام يجنح دائما الى السلم ويرغب عن القتال عازفا عنه غير لاجيء اليه حتى أن أهل يثرب لما عرضوا عليه : « **والله الذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا** » ، رفض عرضهم فى شدة لأنه لا يؤمن بالحرب كوسيلة لنشر الدعوة ...

ورغم أن الرسول لم يكن يميل الى الحـــرب كوسيلة لنشر دعوته الا أنه كان يرى ضرورة الدفاع عن حرية الدين وعن العقيدة وعن رجاله لحماية الذين آمنوا برسالته خوفا من أن تؤثر قســوة قريش وبطشها فى سير الدعوة وانتشارها .

ومن هنا كانت الحرب من جانب المسلمين وسيلة لحماية الدين الجديد والمؤمنين به ، وشرعت الحرب على أن يراعى فيها الحرمات الانسانية ، وفى هذا تهذيب لفكرة الحرب .

ورغم أن الرسول خاض غمار الحرب قهرا فان حربه كانت رحمة فى بدايتها لأن خوضها كان ضروريا للدفاع عن النفس وكان لا مفر من انقاذ قومه من معتد أثيم يريد القضاء عليهم ، وكذلك كانت حربه رحمة فى نهايتها اذ أنه كان لا مفر من التوقف عندما يلتمس المعتدين الصلح لأن الهدف الاساسى كان سلامة المعتدى عليهم وايقاف الاعتداء .

وشرعت الحرب فى الاسلام دفاعا عن الدين وعن المسلمين ، ولم تكن بقصـــد الاعتداء أو نشر الدين وانما كانت تهدف الى صد الاعتداء ومنعه ولم تكن للاجبـار على الدخول فى الاسـلام وانما كانت وسيلة لتحقيق الحرية الدينية حتى تكون الفرصة متاحـة للجميع فيفكرون تفكيرا سليما صحيحا بعيدا عن التهديد والوعيد فى أمور دينهم ويختارون ما يشـــاءون دون ضغط أو خوف أو ارهاب .

وشرعت الحرب فى الاسلام لا من أجل نشر تعاليمه ومبادئه ، فلم يكن الاسلام فى حاجة الى كسب الانصار بالقوة والعنف ، وانما كان يكسبهم بالاقناع والايمان أى بالســلم لا بالحرب : ((**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســـنة ، وجادلهم بالتى هى أحســـن ، ان ربك هو أعلم بمن ضـــل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين**)) .

وشرعت الحرب فى الاسلام لأن أعداء الاسلام هم الذين أرادوا أن يفتنوا المسلمين عن دينهم بالقوة وكان لا بد من حماية المسلمين من تهديد أعدائهم « **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا** » .

تهذيب فكرة الحرب

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »

« قرآن كريم »

الاسلام حياة جامعة لا تقاس بزمان ولا تحد بمكان .

وهو دين الفطرة التى فطر الناس عليها جميعا .

وهو دين الحق والحرية والقوة والنظام .

وطبيعة القتال والنزعة الحربيـــة فى فطرة النـــاس ومن غرائزهم ، والحرب من أسباب قيام الحضارات وتركيزها والمحافظة عليها .. والناس يلجأون للقتال حتى يلتزموا حدودهم ويحترموا حقوق الآخرين فلا يقوى الشر ويستشرى الفساد والظلم ويستبد الأقوياء بالضعفاء ويحال بين الناس وحرياتهم وتتعطل بالتبعيـة شعائر الدين التى يجب أن تتوفر لها الحرية وتتهدم بالتالى أماكن العبادة : ((**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**)) ، ولهذا فتهذيب فكرة الحرب فى النفوس وحصرها فى أدق حدودها واسلم طرائقها وتحديد أهدافها وتوضيحها هى غاية ما تتحمـــل الفطرة البشرية .

وقد نظم الاسلام هذه النزعة أسمى تنظيم ، ووجها أســـلم وجهة ، وانزلها فى المنزلة التى خلقت من أجلها ، وجعلها حـــارس حـدوده ، وسياج ملكه ، وحصن دولتـــه ، والمثل الأعلى لأخلاق جنده .

لقد كان الاسلام حريصا على تنشئة فكرة القتال فى نفوس المسلمين تنشئة كريمة عادلة قوية ، وعلى توجيهها من أول أمرها توجيهـــا اسلاميا نزيها انسانيا عاليا ، وجعلها عبادة من أسمى العبادات المفروضة وربطها بغيرها مثل الصـــلاة والصوم والحج

والزكاة لحفظ العقيدة وحرية الحياة وبنـــاء الأمة وقيام الدولة وارهاب العدو لا للعدوان ، ونزهها بأسبابها الكريمة وجعلها آخر ما يلجأ اليه المسلمـــون من أدوات الاقناع ولغـــة التفاهم مع المعتدين .

ولقد كانت الحرب فى الاسلام خيرا على المسلمين ٠٠ فأعزتهم فى ديارهم ، ومكنتهم من أعدائهم ، وملكتهم ما لم يكونوا يملكون ، ومكنتهم من نشر دعوتهم ، وأطلقت سلطانهم فى العالمين .

والاسلام دستوره القرآن .

والقرآن تناول فى كثير من آياته القتال من جميع نواحيه ٠٠ عرض للاسباب الباعثة عليه وللغاية التى ينتهى عندها . وعرض لما يجب على المسلمين من الاستعداد له والاحتياط لطوارئه ووضح الكثير من قواعده وأحكامه .

أخذ القرآن على عاتقه تحريك العواطف عند المسلمين ناحية القتال فأوضح لهم أنه قتال فى سبيل الله الذى يضاعف ثواب العاملين وأجر المجاهدين ، وأظهر أنه قتال فى سبيل انقاذ الضعفاء والبر بالانسان ومقاومة الطغيان ودحض عوامل الشر ((**فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**)) .

ولقد أوضح القرآن أجر المجاهدين فى سبيل الله المقــاتلين بالنفس والمال وذكر انه لا يقف عند حد ولا يدركه الا عالم الغيب والشهادة : ((**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن**

بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » . « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــــة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

ولقد أمر القرآن بالجهـاد وطلب من المسلمين التضحية فى سبيل الله بكل عزيز .. فلا الآباء ولا الابنـــاء ولا الاخوان ولا الأزواج ولا العشيرة ولا التجارة ولا المساكن يصح أن تحول بين المؤمنين وبين ما تقتضيه محبة الله ورسوله من تضحية وجهـــاد **« قل ان كان آباؤكم وأبنـاؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشـــيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهـا أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »** .

ان القرآن يقرر أن الحرب شرعت دفاعا عن النفس والدين والعقيدة ولم تقرر للاعتداء والتهـــديد : **« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتـــل »** .

ولقد أقام المسلمون فى مكة أعواما يسامون سوء العـــذاب ، ويصادرون فى حريتهم الدينية ، ويضطهدون فى عقيدتهم ويفتنون فى أموالهم وأنفسهم حتى أكرهوا على الهجرة ، وكم تجاوبت فى

نفوسهم فكرة رد الظلم والانتقام من المعتدين الا أن الرسول كان يدعوهم الى الصبر بحجة انه لم يتلق أمرا بالقتال وكان يقـــول : **« أنا عبد الله ورسوله لن أخالف امره ولن يضيعني »** ٠

واستمر حالهم هكذا حتى نزل قوله تعـــالى : **((اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقـدير ٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)) ٠٠ ((فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا))** ٠

ولقد كان وقع فتنة المؤمنين عن دينهم أكبر عند الله ، وكانت الغاية الأولى التى شرع القرآن من أجلها القتال والحجة على ذلك ما نزل من الآيات الكريمة فى سرية عبد الله بن جحش الأسدى حينما أثارت قريش القبائل ضد هذه السرية بحجة أنها استحلت الشهر الحرام وسفكت فيه الدماء « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل : قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله ، وكفر به والمسجد الحرام واخــراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتـــــــل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ٠ »

ومعنى هذا أن القتال فى الشهر الحرام وان كان اثما كبيرا الا أن ما يتصف به كفار قريش من الصد عن سبيل الله والكفر به والصد عن المسجد الحرام واخراج أهله منه أكثر اثما وأشـــــد منكرا ٠

وفتنة الرجل عن دينه بالوعد والوعيد والاغراء والتعـــذيب أكبر من القتل فى الشهر الحرام ، وحق طبيعى بل واجب الزامى على من يرى غيره يحاول فتنته عن دينه أو صده عن سبيل الله أن يقاتل فى سبيل الله حتى لايفتن وحتى ينصر دين الله ٠

والقرآن يبعث فى نفوس المجاهدين القوة والشجاعة ويحثهم على الاقدام والثبات ويصور لهم مساعدة الله وعدم تخليه عنهم **« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .**

.. « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتهم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . »

ومما يجدر ذكره أن فكرة القتال عند الأمم غير المسلمة كانت ومازالت فكرة اغتصاب واعتداء واستعلاء وانزال ضرر بالآخرين اما عند المسلمين فقد هذب القرآن هذه الفكرة وجعل فكرة القتال فكرة تكوين ودفاع وجهاد وانقاذ وسمو وسلام ، وشتان بين الفكرتين .

وقد أوضح الله تعالى ذلك فى قوله : **« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .**

ولهذا فقد قامت الحرب فى الاسلام على الأسس الآتية : —

١ — دفع الظلم والبغى والاضطهاد عن لمسلمين ورد لعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين .. روى أبو داود والترمذى والنسائى عن سعد بن زبير قال « سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن

قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد • »

واشترط الاسلام أن يكون الدفاع ورد العدوان على قدر ماحصل من الاعتداء فلا يصح أن يجاوز حده بل يجب أن يكون بمثل ما حصل من الاعتداء ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**)) •

٢ ـ حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم حتى « **لاتكون فتنة ويكون الدين لله** »

٣ ـ حياة الدعوة حتى تبلغ الناس جميعا ويتحدد موقفهم منها وذلك ان الاسلام رسالة اجتماعية اصلاحية شاملة تنطوى على فضل مبادىء الحب والخير والعدل ويجب أن توجه الى الناس جميعا « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » ليعرف الناس مبادئها وأصولها ويحددوا مكانهم منها ، فمن حاول أن يقف فى طريقها أو أن يكون مصدر تهديد لها يجب أن يزول من طريقها لأن هذا الموقف يعتبر اعتداء على حرية الدعوة « **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** » « **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » •

وروى عن ابن عمر « قال رسول الله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله » .

٤ ـ تأديب ناكثى العهد من المعاهدين : « **وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين** »

٥ـ اغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين

« **وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** » .

٦ ـ الكف عن القتال اذا كف عنه الأعداء : « **فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » . والاسلام يدعو جنده الى الجنوح للسلم ان لاحت بارقة أمل فيه والعمل على اطفاء نار الحرب ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعدم المسارعة الى القتال الا اذا استنفدت جميع وسائل المسالمة « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » والاسلام يدعو الى الجنوح للسلم ولو كان هناك بعض الاحتمال بأن هذا الجنوح قد يكون خداعا من الطرف الآخر : « **وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين** » .

٧ ـ قصر الحرب على الجيش المحارب فلا يجوز التعرض للنساء والأطفال والشيوخ والرهبان . . روى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع** » .

وروى عنه أيضا : « لا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا صغيرا ، ولا امرأة . » وأخرج مسلم عن بريدة قال :

« **كان رسول الله اذا أمر الأمير على جيش أو سرية ، أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ، ومن معه من المسلمين خيرا ،**

ثم قال : **اغـزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفـر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا**)) ولقـــد أوصى أبو بكر أسامة فقال : ((**لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شـــيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل** » .

٨ ــ تحريم التمثيل بالقتلى واحراق بالنار ، روى أبو هــريرة أن الرسول ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قال : انى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وان النار لا يعذب بها الا الله » .

٩ ــ تحريم اتلاف الأموال .. وكان النبى قد أمر بحرق نخل بنى النضير فى أثناء حصاره لهم بقصد حملهم على التسليم فلمــا رأوا ذلك قالوا له : « انك تنهى عن الفساد فى الأرض فما بال قطع الأشجار وتحريقها ؟! » فأمر الرسول بالكف عن التحريق ونهى عن التخريب فى بلاد العدو .

١٠ ــ تحريم تجويع الأعداء .. منع أبو ثمامة بن أثال الميرة عن قريش فأخذهم الجـــوع حتى أكلوا الجلود والجيف ، فذهب أبو سفيان الى النبى وشكاه فأمره الرسول أن يرسل الميرة لهم .

١١ ــ الاحسان الى الاسير .. وقد مدح الله من يطعم الأسير فى قوله : ((**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**)) .

١٢ ــ تأكيد الرحمة فى الحرب ومراعاة الناحية الانسانية فلا بد للمسلم من أن يضرب فى الحرب أروع الامثال على الرحمة .. ((**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق . فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**)) فالاسلام يدعو جنده عندما ترجح كفتهم على أعدائهم وتظهر الغلبة لهم أن يكفوا عن القتل ويكتفوا بالأسر ليمنحوا الأسير بعـــد ذلك

حريته . أو يفتدوا به مثله من أسراهم ، وهذا معنى كبير من معانى الرحمة التى شرعها الاسلام فى الحرب فأبدل حكم القتل بالأسر ثم جعل للأسير أكثر من فرصة ليسترد حريته .

١٣ ــ ضرورة اعلان الحرب من جانب المسلمين قبل البدء فى اى قتال رغبة فى الا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة من جانب المسلمين ((**واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء، ان الله لا يحب الخائنين**)) والاسلام يحتم بذل الجهد قبل القتال فى النصيحة والدعوة الى الكف عن البغض والظلم والأذى والغدر، فاذا لم تفد النصيحة والدعوة أعلنت الحرب .

١٤ ــ الوفاء بالمعاهدات والعهود فى الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيهما والاسلام فى هذا المجال يطالب المؤمنين بالمحافظة ــ أدق المحافظة ــ على العهود والمواثيق ويتوعد فى ذات الوقت المخالفين والناقضين لعهودهم ومواثيقهم بأشد الوعيد ((**وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة**)) ((**والموفون بعهدهم اذا عاهدوا**)) ((**الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم**)) ، ((**وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا** » .

وعن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ((**من ظلم معاهدا أو انتقضه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب من نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة**)) .

١٥ ــ قرر القرآن أن يكون المسلمون جميعا جنودا للاسلام لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم .. الكل مكلف بحمل السلاح والمشاركة فى صد العدوان وفى الدعوة لدين الله الجديد ، وفى ذات

الوقت حدد القرآن المعافين من الحرب وجعل من أسباب المعافاة المرض أو العجز أو الشيخوخة أو صغر السن أو عدم القدرة على الانفاق .

١٦ ـ عدم التفاخر بالنصر أو التظاهر بالقوة ومراءاة الناس : **« ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس »** .

١٧ ـ التمسك بكل أسباب العدالة بعد الانتصار **((الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور))** .

١٨ ـ ليست الحرب فى الاسلام لاجبار الناس على اعلان اسلامهم لأن الدعوة اليه قامت على الحكمة والموعظة الحسنة ولأن القرآن أمر ألا يكون هناك اكراه فى الدين .

١٩ ـ ليست الغنائم هدفا من أهداف الحرب ولا يجوز أن تجعل كذلك ولا يجوز التشدد مع الناس لهذا القصد ، وقد حرم القتال بغية الحصول على غنائم أو مكاسب « **يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا))** .

قال رجل لرسول الله : « رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من الدنيا « فقال له الرسول : **((لا أجر له))** .

والتاريخ الاسلامى يؤكد أن مسلما واحدا لم يخرج للجهاد من أجل شيء من عرض الدنيا وغنائم الفتح ، وانما غرض الجميع من الجهاد اعلاء كلمة الله وحماية الدعوة .

٢٠ ـ قرر الاسلام نظام الجزية على غير المسلمين فى البلاد التى يفتحها نظير قيام الجند المسلمين بحمايتهم وحراسة أوطانهم

والدفاع عنها فى الوقت الذى قرر فيه اعفاءهم من الجندية حتى لا يقاتلوا فى صفوف المسلمين .

وقرر الاسلام سقوط الجزية اذا وافق أهل البلاد من غير المسلمين على المشاركة فى القتال وتكفلوا أمر الدفاع .

٢١ ــ منع الاسلام الحرب بين فئتين مسلمتين فلا قتال ولا قتل بين المسلمين فاذا قتل مؤمن مؤمنا خطأ فعليه الدية والكفارة (أى عتق رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين اذا تعذر العتق) ولقد اعتبر قتل المؤمن للمؤمن عمدا من أعظم الجرائم التى تستحق عند الله أشد العقوبات حتى لكأن القاتل يعد بمثابة الكافر الخالد فى النار فضلا عن استحقاقه القصاص المقرر كمبدأ عام فى القرآن **« .. ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما »**

ولا عجب فى ذلك فالقتال الذى يقع بين فريقين مسلمين لايدخل فى حدود مفهوم الجهاد فى الاسلام ، ولقد ألزم القرآن المسلمين بالمسارعة الى فض القتال واقامة الصلح والسلام بين المسلمين الذين هم أخوة ، لا يجوز أن يقع بينهم قتال ولا نزاع ولا بغى : **« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »** .

المحـــاربون والمتخـــلفون

« لا يستوى القــاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون فى ســـبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعــد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمــة وكان الله غفــورا رحيمــا » ٠

« قرآن كريم »

عندما تقرر أن يحمل المسلمون السيف وأن يواجهوا أعـداءهم ليدافعوا عن أنفسهم ودعوتهم وأمنهم تقرر الجهاد ودعى المسلمون ليجاهدوا فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم .

وأصبح الجهاد فريضة واجبة الأداء على كل مسلم .. حماية للدعوة ، وردا للمعتدين وصونا لحياة المسلمين ودفعا للظلم والبغى والفساد .

ولم يكن الجهاد للاكراه على الدين أو للاجبار على الاسـلام أو للانتقام من مخالفيه ومعارضيه ؛ ولم يكن القتل من طبيعـة الاسلام ، وانما قام الاسلام على العفو والمسامحة والحكمة والموعظة الحسنة ((**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**)) .. ((**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**)) .

لم يكن الجهاد يستهدف اجبار الناس على الاسلام فقد جاء الرسول داعيا ومبلغا ((**فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصـير بالعبـاد**)) .. ((**قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**)) .

والجهاد يعنى بذل الجهد أى الطاقة والقدرة فى سبيل الله بالنفس والمال والرأى ومداواة الجرحى وتهيئة الطعام أو الشراب واعداد السلاح .

وفرض الجهاد على المسلمين فرض كفاية وفرض عين .

وفرض الكفاية يفترض على جميع المسلمين الموجودين فى جميع أنحاء بلاد الاسلام من أهل القتال ، فان قام البعض بالجهاد سقط الفرض عن الكل ، واذا لم يقم به أحد فى زمن ما أثم الكل من المكلفين العالمين بتركه ، وفى هذا الفرض لا تخرج المرأة الا باذن زوجها ولا الولد الا باذن والديه أو أحدهما اذا كان الآخر ميتا .

ويكون الجهاد فرض عين اذا هجم العدو على بلدة من بلاد المسلمين فجأة فيخرج أهل البلدة جميعا اذ أصبح الجهاد فرض عين كالصلاة والصوم ، ويخرج الاطفال دون اذن والديهم والمرأة دون اذن زوجها .

والجهاد أنواع .. جهاد بالنفس وجهاد بالمال وجهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد .

والجهاد بالنفس يكون فرض عين ويكون أيضا فرض كفاية ، وباقى أنواع الجهاد فرض عين .. فمن كان له مال وهو مريض لا يصلح للحرب فعليه أن يعطى غيره ماله ليشترى السلاح ، ويجوز له أن يستأجر من يحل محله .

والجهاد بالقلب لصاحب العذر الذى لا مال له ، وله نيته فى الجهاد ويتمنى أن لا يكون صاحب ضرر فيباشر القتال بنفسه.

والمقصود بالجهاد باللسان الحث على الجهاد والدعوة له من كل مكان ، ونحو ذلك .

أما الجهاد باليد فمعناه العمل باليد فى كل ما ينفع الجهاد ويعين الجند على النصر كتقديم الدواء وتضميد الجروح وتحضير الآلات .

ولقد اعتبر الجهاد فى سبيل الله من أسمى الفرائض الدينية وافضل الأعمال الربانية وجعل الاسلام درجة المجاهدين اعلى درجات المسلمين ((**لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما**)) .

واعتبر التقصير فى الجهاد ـ عدا أنه اخلال بواجب دينى مستوجب لغضب الله ـ عاملا مؤديا الى التهلكة والفساد واختلال نظام الاسلام والمسلمين ومبررا لوقوف أولى الأمر موقف التأديب والتنكيل .

كما اعتبر التثبيط والتعويق والتخلف والتقاعس عن الجهاد ـ عدا انه جريمة دينية تستحق عقوبة الله وغضبه وسخطه ـ جريمة سياسية تبرر لأولى الأمر أخذ أصحابها بالشدة والقسوة والعنف .

وحينما تقرر الجهاد وضعت له شروط .

فالجهاد واجب على المسلم اذا كان قادرا عليه فمن لا قدرة له لا جهاد عليه ، ومن عجز عن الجهاد بنفسه ولا مال له فعليه أن يجاهد بأى شكل بحسب ما يستطيع من قلبه ولسانه ويده .

ومن شروط الجهاد أن يكون المجاهد ذكرا لأن بنية المرأة لا تتحمل الحرب وهى ان خرجت للحرب فلا تخرج للقتال ولحمل السلاح وانما للطب والسقى ومداواة الجراح .
والطفل الذى لم يبلغ بعد لا يحتمل الحرب ولهذا منع من الخروج .

وسمح للقادرين على القتال الذين لا يملكون سلاحا أو راحلة أن يخرجوا لتكثير السواد ارهابا للعدو .

ولقد أعفى من الجهاد الضعفاء والمرضى والعاجزون عن وسائل الجهاد فلا يأخذ الله بالاثم والعقاب المرضى والضعفاء من النساء والصبيان والهرمى ولا يأخذ الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون اذا تخلف هؤلاء عن الغزو والجهاد ((**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**)) .. ((**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**)) .

وفضل الجهاد عظيم لأن فيه بذل النفس تقربا لله ، واعتبر الجهاد أفضل من قيام الليل ، ولقد أثنى الله على المجاهدين ووعدهم الجنة فى كثير من آيات القرآن . وسئل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أحد رجاله : ((**يا رسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد ؟**)) فأجاب : ((**لا أجده**)) .. وقال الرسول أيضا ((**والذى نفسى بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا**)) وقال ((**من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله**)) ، وقال ((**لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**)) .. وأتى رجل الى رسول الله يسأله : « أى الناس أفضل » قال : ((**مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله**)) وقال : ((**من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار**)) .

والاسلام يذكى روح الجهاد فى نفوس المسلمين ويضع لهم الجهاد فى المرتبة الأولى ويعده مبدأ أساسيا هاما فهو يصف المجاهدين بالعزة والقوة : **((والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون))** ويقول عنهم : **((أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم))** .

ثم يوسع لهم فى حدود العزة حتى يجعلها موصولة بالله فيقول: **((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين))** ويقول لهم : **((كنتم خير أمة أخرجت للناس))** .

ويرتفع بهم الى مراتب الصلة الربانية فيجعلها فى مقام الحب من الله : **((ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص))** .

ويؤكد لهم بعد ذلك النصر فى الدنيا والفلاح فى الآخرة **((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد))** و **((وان جندنا لهم الغالبون))** .

ويعدهم بعد هذا كله بدوام الملك طالما أنهم محافظون على عهودهم : **((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا))** .

ولقد توج الله تبارك وتعالى فضل المجاهدين بهذا الوعد الكريم : **((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم))** .

ولقد وضعت للمجاهدين مبادىء عامة فى الجهاد هى :

١ ـ يكون المسلم باسلامه قد عقد عقداً مع الله باع به نفسه له للجهاد فى سبيله بالمال والنفس واشترى الله منه ذلك بالجنة ، فيجب عليه أن يوفى بما عاهد الله عليه وينفر الى الجهاد كلما دعا الداعى اليه وأن يؤمن بأن الله موف له بوعده الحق .

٢ ـ يجب على المسلم أن يؤمن بأن الله قد كتب على نفسه نصرة المؤمنين وأنه تعالى ناصر من ينصره حقا .

٣ ـ يجب على المسلم أن يعتقد أنه فائز رابح فى جهاده فان بقى حيا تكون له حسنى الجهاد وثوابه وكرامته ، وان قتل تكون له حسنى الشهادة ، وان كتب للمسلمين النصر فيكون ذلك عزة لهم ، وان كتبت عليهم الهزيمة فتكون اختبارا سماويا يثـــاب الصابرون عليه .

٤ ـ يجب أن يعرف المسلم أن ايمانه وصدقه تحت الاختبار وأن الله قد يبتليه بالخوف والجوع والنقص فى الأموال والأنفس والثمرات فى سبيل الجهاد وأن عليه أن يقابل ذلك بالصـبر فلا يضعف فى طلب العدو ولا يهن فى جهاده وعليه أن يعرف ان ما يلاقيه فى الجهاد من صغيرة وكبيرة قد كتبها الله وأثابه عليها بأحسن الثواب .

٥ ـ شهداء الجهاد أحياء عنـــد ربهم يرزقون ، مكرمون متمتعون بكل أسباب النعيم .

٦ ـ أجل المرء لا يتقدم لحظة ولا يتأخر عما هو مقرر فى علم الله ، ويجب أن يعرف المسلم أنه حينما يدركه أجله يموت ، وأن الجهاد لا يقدم من أجله ، وان تجنب الجهاد لا يؤخر منه .

٧ ـ ان المسلم لا يكون مسلما صادق الايمان الا اذا كان الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس أحب اليه من كل شيء حتى من أبيه وأخيه وزوجه وعشيرته وماله وتجارته .

٨ ـ ان من يسرع الى تلبية داعى الجهاد بالمال والنفس فى وقت الشدة والحرج أعظم درجة ممن يجاهد فى أوقات السعة .

٩ ـ الفرار من العدو لغير غاية حربية جريمة دينية كبرى لا تغتفر .

١٠ ـ يجب على المسلم المجاهد أن يوقن بأنه مزود بمدد ربانى يعاونه فى التغلب على عدوه الأكثر عددا وعدة .

١١ ـ الاستماتة فى سبيل الله والخشية من الله واجب الزامى على كل مجاهد .

١٢ ـ التثبيط عن الجهاد بالمال والنفس والتخلف عنه والتقصير فيه وعرقلة سيره ووسائله وابتغاء الفتنة واشاعة الوساوس والاشاعات ووضع العقبات فى طريقه جرائم عظمى يستحق مقترفوها عقوبة الله وغضبه .

ولقد قرر القرآن للمجاهدين آدابا كثيرة فى الجهاد يعملون فى حدودها وهذه الآداب هى :

١ ـ المبايعة على السمع والطاعة ((**ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**)) .

٢ ـ الوفاء بالوعد والصدق فى العهد حتى الموت ((**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**)) .

٣ ـ الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع ((**يايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**)) .

٤ ـ طرد الأوهام والخوف والحزن ((**ولا تهنوا ولا تحـزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين**)) .

٥ ـ الاقدام والشجاعة ((**فاذا لقيتـم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق**)) .

٦ ـ الصبر حين اليأس والمصابرة عنـد المجالدة والمرابطة والتيقظ وتقوى الله ((**يأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**)) .

٧ ـ مطاردة العدو ومتابعته بقصد اتمام النصر ((**ولا تهنوا فى ابتغاء القوم**)) .

٨ ـ عدم التسليم أو الدعوة الى الصلح وان كان النصر فى جانب العدو ((**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلـون والله معكم**)) .

٩ ـ عدم الفرار من المعركة ((**يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنـم وبئس المصير**)) .

١٠ ـ الاتفاق التام على جميع الأعمال الميدانية وعدم الاختلاف والتجرد من الشخصيات ، ((**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين**)) .

١١ ـ عدم الخوف من العدو مهما فاق فى عدده أو عدته لأن الله أقوى وأعز ((**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**)) .

١٢ ـ اذا وقع للمجاهدين أذى خلال القتال فيجب أن يعلموا أن الحرب دواليك يوم لهم ويوم عليهم ((**ان يمسسكم قرح فقـد مس القوم قرح مثله**)) .

١٣ ــ الترفع عن الطمع فى الغنائم ((**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**)) .

١٤ ــ الايمان بأنه لا سبيل الى الجنة الا عن طريق الجهاد ((**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**))

١٥ ــ الأجر فى الجهاد على صدق النية وحسن العمل والوفاء بالعهد وأن النصر من عند الله ((**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا**)) .

وكان من نتائج المبادىء التى وضعت للجهاد والآداب العامة التى قررها القرآن أن أصبح الجندى المسلم يخرج الى الجهاد وهو مؤمن تمام الايمان برسالته .. مؤمن بالجهاد كوسيلة الى حياة خالدة .. مؤمن بالدور الكبير الخطير الذى يؤديه فى تاريخه وفى تاريخ أمته ودينه ، وأصبح الجندى المسلم يخرج الى الجهاد مزودا بأسلحة روحية لا سبيل الى وجودها عند عدوه الذى خرج الى القتال وهو أحرص على الحياة منها على الموت .. وامتاز الجندى المسلم وهو يحارب فى الميدان ويجاهد فى سبيل الله بقوى روحية معنوية افتقر اليها عدوه .

ومن هذه القوى الروحية المعنوية :

١ ــ السكينة التى يبعثها الله فى قلوب المؤمنين ((**هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم**)) .

٢ ــ الشوق الى الاستشهاد والجنة وما فيها من نعيم مقيم ((**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار**)) .. ((**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**)) .

٣ ـ الكره والمقت والاحتقار لاعدائهم أعداء الله : ((**انما المشركون نجس**)) .

٤ ـ المودة التى تربط بين المجاهدين وتؤلف قلوبهم وتوحد غاياتهم ((**هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**)) .

٥ ـ الرعب الذى يقذف به الله فى قلوب أعدائهم : ((**سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب**)) .

٦ ـ مشاركة الملائكة فى المعركة : ((**اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين**)) .

٧ ـ الاطمئنان الى مستقبل أبناء المجاهدين وذرياتهم : ((**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**)) .

والمسلمون حين يخرجون للجهاد يتولى أمرهم قائد أو أمير يكون على رأس الجند هو الذى يتولى أمرهم ، ويعالج مواقف الجهاد ، ويقرر فيها أمره والجند من خلفه ينفذون تعاليمه وأوامره دون مناقشة ، وهو الذى يهيىء النفوس لمواقف البطولة ، ويعدها لمواجهة العدو ، وهو الذى يتطلع اليه الجنود فينسجون على منواله ويقبلون على الحرب فى ضوء ما ينعكس عليهم من صفاته وهو الذى يعمل له العدو حسابا فاذا عرف عنه القوة والجلد والحكمة والشجاعة هابه وخشيه وخاف لقاءه .

ولهذا فان الاسلام قد أوجب اتصاف القائد بصفات مميزة وتأدبه بآداب خاصة واستكماله لنواحى الخير والحكمة والايمان ..

ولقد اشترط الاسلام فى القائد أن يكون .

١ ـ عالما بكتاب الله فقيها حافظا .

٢ ـ عارفا بالحرب ومعداتها وأساليبها .

٣ ـ قويا شجاعا حائزا لثقة رجاله .

٤ ـ ثابت الجنان صلب العود قادرا على قيادة الجند .

٥ ـ قادرا على ضبط عواطفه ومشاعره ووجدانه .

٦ ـ عادلا حتى مع أعدائه .

٧ ـ وفيا للعهد حتى مع أعدائه .

٨ ـ حازما غير متردد يتحرى الأمور ويمحصها ولا يندفع وراء أخبار كاذبة غير محققة .

٩ ـ واثقا من نفسه ومن قدرته فلا يكربه أمر عدوه ولا يجزع لمصاب أصاب صفوفه .

١٠ ـ ملما بالموقف الـــذى يواجهه فيدبر أمره على أساس سليم ولا يتعجل فى أمر يندم عليه .

١١ ـ دائم الاتصـــــال بجنده رحيما بهم عطوفا عليهم سامعا لشكواهم رقيقا فى معاملتهم .

١٢ ـ محبا للتشاور فلا يستبد برأى دون مشورة أصحابه .

١٣ ـ قادرا على أن يعرف أخبار عدوه قبل أن يلقاه

١٤ ـ قادرا على المناورة والمحاورة والخداع .

ولقد كانت هناك فئة ممن ينتسبون الى الاسلام أبت أن تشارك فى الجهاد وأن تأخذ نصيبها من هذا الفخر وأن تسهم مع اخوانها

فى المجد العظيم الذى أقاموه بسواعدهم وبايمانهم وبقدراتهم ٠٠
لقد أبى هؤلاء الا أن يستكينوا بعيدا عن ميدان المعركة وأن يراقبوا الأحداث من بعيد دون أن يكون لهم دور فى هـذه الأحداث ، ولا شك فى أن هؤلاء كانوا يفتقدون العقيـدة الصحيحة السليمة لأن من كانت عقيدته أسمى من حياته وأكبر من دنياه فهو أحق الناس بمجد الدنيا وسعادة الآخرة ، ومن كانت عقيـدته القتال والجهاد وطلب الموت من أجل دينه فى سبيل ربه صغر أمام عينيه كل كبير، وتحطـم فى طريق ارادته كل عائق ، وتواضعت الدنيـا بأجمعها تحت أقدامه ٠

ان هذه الفئة تقاعدت عن الجهاد ولم تشارك فى اقامة صرح الدولة الاسلامية العظيم ولم تكتف بـذلك بل حاولت أن تفت فى عضد المجاهدين وأن تقلل من ايمانهم بربهم وأن تحول قلوبهم من الايمان الى الكفر ٠٠ لم تكن لديها القدرة على مواجهة العدو وقتاله وانمـا جبنت وخافت وتولاها الذعر وودت لو عـادت أدراجها وتركت الاسلام وارتدت الى دين آبائها وأجدادها ٠

ولقد كشف الله أمر هؤلاء فى مواضع مختلفـة من القرآن كما هو واضح فى الآيات التالية :

١ ـ ((وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما))

والقاعدون آمنوا كما آمن الناس ، وأسلموا كما أسلم الناس ، ولكنهم لم يفقهوا الاسـلام ولم يعرفوا الايمان ولم يدركوا قيمة الوعد الذى وعد الله به المجاهدين من المسلمين ٠

٢ ـ ((يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل)) ٠

والمتثاقلون هم الـذين يتثاقلون عن القتال مع ايمانهم بلزومه لركونهم قليلا الى الدنيا وتفضيلهم الدنيا الزائلة الفانية ومافيهـا من شهوات ولذات زائلة وراحة مع الذل والخنوع والبؤس والفقر على الآخرة بما فيها من نعيم مقيم دائم ٠

٣ ـ « وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ٠ ولئن أصابكم فضـــل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفــوز فوزا عظيما » ٠

والمتباطئون هم هؤلاء الذين لم يرتقوا الى الايمـــان بالجماعة والدخول فى الطاعة لله ولرسوله فلا يتسابقون الى الخير العام ، ويغلب الطمع والاثرة على نفوسهم وليس عندهم ايثار أو تضحية يتظاهرون بالايمان ويبطئــون بالمسـلمين عن الجهاد ويثبطون ويتخلفون ، واذا أصابت المسلمين هزيمـة فرحوا لأنهم لم يكونوا معهم فيصابون ، واذا أصاب المسلمون فضلا حزنوا لأنهم لم يكونوا معهم فيأخذون نصيبهم من هذا الفضل ٠

٤ ـ « انما السبيل على الـذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخـوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ٠ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسـوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون٠ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جـــزاء بما كانوا يكسبون ٠ يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين » ٠

وفئة المترفين الأغنياء شغلتهم أموالهم وأولادهم وأنفســـهم عن ربهم وتعلقوا بالحياة الدنيا وتناسوا الخير العميم الذى وعيهد

الله به عبـــاده المخلصين ورضوا بالتخلف عن الواجب وانصرفت نفوسهم عن الخير فاذا دعـوا الى الجهـاد استأذنوا فى التخلف واعتذروا باعتذارات باطلة عن تخلفهم وقعودهم عن شرف الجهاد راضين لانفسهم ان يكون شأنهم شأن أرباب الضعف من النســاء والصبيان والعاجزين وقد أعمى الله بصيرتهم وختم على قلوبهم فغفلوا عن سوء عاقبتهم فى نكوصهم عن الجهاد ((**انهـم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون**)) .

٥ ــ ((ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى آلا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين . ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصـــــيبة يقولوا قد اخذنا أمرنا من قبـل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . قل هل تربصون بنا الا احـدى الحسنـيين ونحن نتربص بكم أن يصـــيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون)) .

والمتربصون قوم أظهروا الاسلام الا أنهم نكصوا عن الجهـــاد حين دعى اليه المسلمون ولجأوا الى وســائل وحيل ليتخلصوا من تبعاتهم وليتخلفوا عن دورهم فى الجهــاد وكانوا يتقدمون بأعذار يعلمون مدى بطـــلانها حتى لا يشـــاركوا في الجهاد ، وهؤلاء المتربصون يحزنون ويتألمون حينما ينال المجاهدين توفيق ويصيبهم خيـــر وظفر وانتصار ومغنـم ، ويفرحون ، حينما يسمعون أن المجاهدين قد أصابتهم هزيمة أو حلت بهم كارثة ويقولون شامتين لقد أخذنا حذرنا واحتطنا لأنفسنا فلم نخـرج مع المجاهدين ولم يحل بنا ماحل بهم .

٦ ــ « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل ان الأمر كله لله ،

يخفون في أنفسهم مالا يبـــدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ، قل لو كنتم فى بيــوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صـــدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » .

وأصحاب هذه الفئة خافوا على انفسهم وأساءوا الظن بربهم فلم يصدقوا أن الله ناصر نبيه وآخذ بيده وقالوا لو أن الأمر فى أيدينا ماتركنا أنفسنا للمشركين يقتلوننا وماخرجنا أصــلا لنلقى مصارعنا ، وكأن الله قد جعل خروجهم ليختبر مافى نفوسهم من الشك وليظهر حقيقتهم للمؤمنين فيتبينوا ما فى قلوبهم من العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين . وهؤلاء لم يشـــعروا بقوة الحق ولم يثقوا بعهد الله ولم يطمئنوا الى وعده تبارك وتعالى .

٧ ـ « انما يستأذنك الـذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . ولو أرادوا الخـــروج لأعدوا له عـــدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليـــم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهـــر أمر الله وهم كارهون » .

والمرتابون لا ثقة لهم فى أنفسهم ولا فى غيرهم لا يريدون عملا ولا يعدون عدة ويبذلون الجهـــد لاشاعة الفتنة والفرقة تغطيـة لموقفهم وحقداً على غيرهم وهم لايؤمنون بالله واليوم الآخر رغم زعمهم أنهم مؤمنـــون ، وهم لا يشعرون فى قرارة نفوسهم بباعث يحفزهم على الجهاد فيكرهونه ويبدون المعـــاذير لتركه لأن قلوبهم لم يستقر فيها الايمان .

٨ ــ « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفــروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » •

وهؤلاء المتخلفون طلبــوا من الرســول أن يأذن لهم فيقعدوا ولا يخرجوا معه فأذن لهم لأنه يعلم أنه لا فائدة ترجى من خروجهم وقد فرحوا بقعودهم وكرهوا الجهاد لأن الكفر والنفــاق راسخ فى قلوبهم فلم يبذلوا أموالهم ونفوسهم ضنا بها على القتـــال مع الرسول ، ولم يكتفوا بهذا بل عملوا على تثبيط من خرج فانتهزوا فرصة دعوة النبى للجهاد والخروج لغزو الـروم فى الصيف وفى شدة الحرارة وقالوا « لا تخرجوا للغزو فى الحر فتتعرضوا للجهد والعطش وتلقوا بأنفسكم فى الهلاك » وتناسوا فى خلال دعوتهـــم هذه شدة نار جهنم وقسوتها •

٩ ــ « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا • أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حـداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا » •

والمعوقون فئة أهل نفاق يشتركون فى الحــــرب اشتراكا ضئيلا ريثما يراهم المؤمنون ، ثم ينصرفون وهم حريصون على طلب الخير لأنفسهم فيظهرون اذا زال الخطر يسبون المؤمنين ويذمونهم ويبســطون ألسنتهم بالسوء ، أما فى وقت اقتســام الغنائم فيتظاهرون بالايمان رياءوخداعا طمعا فى الحصول على نصيبهم من الغنيمة •

١٠ ــ « •• والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا » ••

والمرجفون أخطر فئة يحذر الله رسوله منهم . فهم عين العدو ولسانه بين المسلمين ينشرون الأخبار الكاذبة والشائعات المغرضة والوقائع الباطلة ، يؤدون أعمالهم فى الخفاء يظهرون غير مايبطنون ، ويكيدون للمسلمين فى السر ، ويعملون على اضعاف روحهم المعنوية ويسعون فى توهين دعوتهم .

١١ - « واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا ».

هؤلاء المنافقون فى قلوبهم ضعف ايمان وضعف اعتقاد بأن الله لابد مؤيد رسوله وناصره على أعدائه ، ولهذا فانهم تحدثوا الى أهل يثرب بأنه لاجدوى من اقامتهم معرضين للقتل والأسر على يد أبى سفيان وصحبه لأن مصيرهم هو الهزيمة والفشل ويدعونهم الى الرجوع ففى ذلك خير لهم وسلام ، ويطلبون منهم أن يسلموا الرسول للأعداء وأن يعودوا الى كفرهم .

ويحاول هؤلاء المنافقون أن يعودوا أدراجهم من القتال فيزعمون للنبى أن بيوتهم غير حصينة وأنها معرضة للنبال وللسرقة وهم لضعف ايمانهم وفرط نفاقهم لو دعوا الى الردة ومقاتلة الرسول لفعلوا .

وان الله تبارك وتعالى وقد كشف حقيقة هؤلاء جميعا وبصر رسوله بنواياهم وبمكرهم .. أنزل فيهم آيات كريمة احتوت تقريعا

شديدا متنـــوع الأساليب وأحاطتهم بجو من الحقـارة والزراية والمقت وهوت بهـم الى الحضيض وأوضحت مايتصـــفون به من النفسية الخبيثة والقلوب المريضة والعادات الذميمة والخوف ٠٠ لقدكانت هذه الفئات من الناس فى بدء أمرها بارزة قـــوية ذات كملة نافذة وكانت سهام مكرها ودسائسها تزيد من حرج المواقف التى يواجهها الرســـول والمسلمون شـــدة وخطورة ولكن بعد أن نزلت فيهم هذه الآيات ضعف أمرهم وضـــــؤل شـأنهم واختل مركزهم وصـــاروا يسـعون الى المسلمين ينكرون ما يتهمون به ويحلفون الايمان على ذلك ٠ ولقـد أوضح الله تبارك وتعالى مصير هؤلاء فى كثير من الآيات ويبشرهم بعذاب أليم ((**الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا**)) ٠((**ان الله لعن الكافرين وأعـــد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ٠ يوم تقلب وجـوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ٠ فلاتعجبك أموالهـم ولا أولادهم انما يريـد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون**))

ولقد كان للآيات التى أنزلها الله فى هؤلاء سواء الآيات التى أوضحت حقيقتهم أو الآيات التى بينت مصيرهم وجزاءهم ، لقـد كان لهذه الآيات كلهـا أثر ايجـــابى فى نفوس المسلمين عـــامة فأخذوا يتهافتون على الجهاد ويتقدمون الصفوف ٠٠ لا يتخلف منهم احد حتى نزلت هذه الآية الكريمة ((**وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهـــم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**)) ٠

الإســلام دين الســلام

« ولا تقولوا لمن ألقى اليكم الســـلام لست
مؤمنـــا .. »

« قرآن كريم »

فى الوقت الذى تعددت فيه الطوائف والأديان فى الجزيرة العربية وزادت فيه المنازعات بين العرب ووضحت العصبية وضوحا لا سبيل الى انكاره جاء الاسلام الحنيف يعلم الأخوة الانسانية ويبشر بالدعوة الى التضامن والمحبة ويبطل كل عصبية ويسلك بالعرب طريق الخير والعزة ويقرب بين النفوس المتنازعة والقلوب المتطاحنة والمشاعر المختلفة ، ويجمع الناس جميعا فى وحدة لاتفرق بين هذا وذاك ، بل تسوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات .

والتاريخ يؤكد أن الاسلام حقق هذه المعانى فى صورة رائعة جليلة فألف بين العرب جميعا « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » .

ولقد أوضحنا أن الدعوة الى الاسلام بدأت بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن الاسلام لم يرهب أحدا للدخول فيه ولم يجبر فردا على الايمان برسالة محمد ، ولم يستخدم السيف ولم يسلطه على الأعناق حتى تنتشر الدعوة الجديدة .

ومن الخطأ أن نذهب هذا المذهب لأن الاسلام شريعته السلام وهو دين الرحمة ولم يقم دليل واحد على أنه خرج عن هذه الحدود .

واسم الاسلام مشتق من السلام ، فهو قد قام من أجل تحقيق السلام ، وقام يدعو الى السلام ، والمؤمنون الذين آمنوا به لم يجدوا لأنفسهم اسما أفضل وأعذب من أن يكونوا المسلمين « **ملة أبيكم**

ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هـذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » •

وأساس الدين ولبه الاسلام لرب العالمين « **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » « اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »** •

ولقد جعل الاســلام كلمة السلام الأساس فى معاملاته فتحية المسلمين « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » •• وختام صلاتهم سلام على اليمين وسلام على الشمال • والقرآن الكريم نزل فى ليلة كلها سلام تحف به ملائكة السلام ((**انا أنزلناه فى ليلة القدر • وما أدراك ما ليلة القدر • ليلة القدر خير من ألف شهر • تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر • سلام هى حتى مطلع الفجر »**

وخير ما يلقى به الله عباده فى الجنة تحية السلام ((**تحيتهم يوم يلقونه سلام))** •

والملائكة يستقبلون العبـاد الصالحين فى الجنــة بالســلام ((**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم))** •

وحتى الجنة التى وعد بها المتقون الصالحون الطيبون سميت دار السلام « **لهم دار الســلام عند ربهم » « والله يدعو الى دار السلام »** •

والمسلمون الذين يوحدون الله يعرفون ــ ضمن مايعــرفون من أمور دينهم ــ أن السلام اسم من أسماء الله ((**هو الله الـذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام))**

ولقد جاء الاسلام مؤكدا لمعــانى السلام ، فعمل على استقرار السلام وأرسى قواعده ، ودعا الناس للعمل بها ، ولاعجب فى ذلك

فالاسلام قرر مبدأ الاخاء بين الناس ، ودعاهم للقضاء على روح التعصب ، كما أشاد بفضل السلام وطبع النفوس بروح التسامح الكريم . وأمر بالوفاء ، وحرم الغدر ونقض العهود والمواثيق كما أنه حصر فكرة الحرب في أضيق حدودها . وحرم العدوان بكل صوره ، وأشاع العدل والرحمة واحترام الحقوق ، ولقد سعد الرسول بحلف الفضول وفرح به لأنه وسيلة من وسائل اقرار السلام « لقد شهدت في بيت عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ولو سئلت به فى الاسلام لأجبت »

ولقد أمر القرآن بالتدخل لفض النزاع المسلح بقصد اقرار السلام بدلا من القتال والنزاع ((**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** »

ويذهب القرآن من أجل السلام الى حدود أبعد من التدخل بقصد الصلح فيقول : ((**فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله**)) .

ولقد جعل الاسلام من صفات المسلمين وواجبهم أن يتواصوا بالحق والصبر والمرحمة . وان يبثوها فيما بينهم وأن يتضامنوا فيها ، وأمر المسلمين كافة أفرادا وجماعات كل فى نطاق قدرته وامكانه أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعل التقصير فى أداء هذا الواجب اثما دينيا يستحق غضب الله وسخطه لما فيه من ضرر كلى بالمجتمع الذى يعيشون فيه « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** »

ولقد أمر الله المسلمين بمقاومة البغى والظلم والباطل وفساد الأخلاق ودعاهم الى مكارم الأخلاق والاصلاح بين الناس كوسيلة

مؤكدة لاقرار السلام بينهم : ((**يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر** » .

ومن أجل نشر السلام بين الناس كافة أمر القرآن الناس بأن يتواصوا بالحق والصبر والرحمة وأن يبثوها بينهم ، ففى هذا حفظ لكيان المجتمع ودعم لبنيانه وبث لعوامل التضامن والمحبة والتعاطف بين الناس جميعا ((**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة**))

اذن فالاسلام لايدعونا الى التنافر أو التناحر أو التنازع وانما يدعو الناس جميعا ليعيشو فى مجتمعهم أخوة متحابين يسعون لخيرهم ولخير الانسانية كلها .. ولا شك فى أن هذه الاتجاهات التى هدف الاسلام اليها فى دعوته لا تؤدى الى حرب بقدر ما تحقق السلام وتؤكده .

ولكن الناس اعتادوا أن يقاوموا كل جديد ، وما من دعوة جديدة خرجت على الناس الا وعورضت لأنها تقوم على أسس جديدة تتعارض مع مايؤمن به الناس ، ولهذا يسرع الناس الى معارضتها ، وقليل من الناس من يؤمن بها ويعتقد فى صلاحها وكمالها وتفوقها فى مزاياها على ما تعودوه فى حياتهم .

والاسلام شأنه فى ذلك شأن أية دعوة جديدة قام يدعو الناس الى نظام اجتماعى جديد غير هذا النظام الذى كان سائدا فى جزيرة العرب فكان لابد من معارضته ومقاومته،ورغم أن كثيرين دخلوا فى الاسلام الا أن فئة باغية من العرب أبت الا أن تعارض هذه الدعوة واتخذت فى معارضتها طرقا شتى .. هددت وعذبت وقاطعت ولما لم يسعفها هذا كله لجأت الى الحرب .. وكان المسلمون الأوائل ازاء هذه المعارضة مع ماصاحبها من التعذيب والتهديد والتنكيل صابرين واتخذوا موقفا سلبيا وتحملوا كل ما تعرضوا له لأنهم كانوا يأملون أن يكون لهذه المعارضة نهاية وكانوا يؤمنون بأنهم

منتصرون فى آخر الجولة ، وظن المعارضون أن جنوح المسلمين الى السلم دليل على ضعفهم، وأن صبرهم على مايلاقونه خوف . فازدادوا غيا وعنادا ، حتى لم يعد أمام المسلمين سوى المقاومة ورد العدوان واتخاذ ذات السلاح لحماية أنفسهم وذويهم ودينهم .

وأذن للمسلمين بالقتال بعد أن تمسكوا بالسلم والسلام .. وما أن شرعت الحرب وأذن بالقتال حتى أثار خصوم الاسلام هذا التشريع وهذا الاذن اثارة خاطئة لاعدل فيها ولا انصاف واتخذوها وسيلة للتهجم على الاسلام والتقليل من شأنه .

لقد اتهم هؤلاء الخصوم الرسول ظلما بأنه دفع الناس الى الدين الجديد تحت وسائل التهديد وادعوا أنه أكرههم على الدخول فيه بالسيف .. ومايثيره هؤلاء فى هذا المجال اتهام باطل لا أساس له ، فالنبى لم يكن معتديا ولم يلجأ الى السيف أو التهديد ولم يجبر أحدا ليشهد بشهادته أو يدين بعقيدته .. وواضح من تاريخ الاسلام أن قريشا كانت دائما هى المعتدية هددت المسلمين وعذبتهم وشردتهم وأرهبتهم وقاطعتهم وأجبرتهم على أن يتركوا بلادهم الى الحبشة واليمن والمدينة .

ودستور الاسلام ينص صراحة « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » « **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** » . « **وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ».

واتهام الخصوم للاسلام باطل من وجوه ثلاثة :

١ ـ باطل بشهادة التاريخ الذى يحدثنا بأن النبى مكث فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الى دينه وكان خلال تلك الفترة

مضطهدا أشد الاضطهاد حتى من أهله وعشيرته وأقرب النـــاس اليه ومع ذلك احتمل وصابر وصبر وكان يمر على رجاله وأصحابه وهم يعذبون فيدعوهم الى الصبر والتحمل ويعدهم الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين .. ورغم مظاهـــر العنف والقسوة فقد آمن بالرسول السابقون الأولون كما آمن الأنصار حين حدثهم الرسول عن دعوته خلال ترددهم على مكة فى كل عام وكان الرسول يدعـــو الى الدين دون أن يقـــابل العدوان بسيف أو بعصا ولكن بصبر وايمان وثقـــة فى نصر الله وكان يردد دائما كلما اشتدت المقاومة وزادت الشدة وعنفت وسائل التعـــذيب « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

وحتى بعـــد هجرة الرسول الى المدينة لم يؤذن بالقتال الا فى السنة الثانية من الهجرة بعد أن كثر خصوم الاسلام من المشركين واليهود الذين بدأوا جولتهم فأخذوا يتحرشون بالمسلمين ويكيدون لهم مما دعا الى الاذن بالقتـــال لصد العدوان وحماية الدعوة . **((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلمـــوا وان الله على نصرهم لقـــدير))** وفى هذا الأمر دلالة واضحة على أن القتال قد سمح به للمظلومين الذين طردوا من ديارهم بغير حـــق حتى يستطيعوا أن يردوا عن أنفسهم ويدافعوا عن دعوتهم ويؤكدوا حريتهم .

٢ ـ باطل بشهادة القـــرآن وهو دستور الاسلام الذى أمر المسلمون أن يترفقوا بالمشركين فيعرضوا عليهم الدين ويناقشوهم فيه ويوضحوا لهم حدوده ومقاصده وأهدافه وأن يعاملوهم بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبعدوا قدر استطاعتهم عن الشدة والقسوة وأن يكونوا رحماء عطوفين .. اذا استجارهم واحد من المشركين أجاروه حتى يصل الى مأمنه والا يكرهوا أحدا على الدخول فى الدين .. وتاريخ الاسلام يؤكد أن المسلمين ساروا فى هذه الحدود ونهجوا على هذه الأوامر فكانوا يعرضون الاسلام فاذا رفض عرضـــهم عرضوا

الجزية ولم يكن أمامهم بعد رفض الجزية الا الحرب ·· ثابت هذا في الكتب العديدة التى بعث بهـــا الرسول الى الملـوك وأصحاب السلطان فى زمانه ، لقد عرض عليهم الاسلام عرضا منطقيا « اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » منهم من قبل ، ومنهم من رد ردا طيبا ، ومنهم من استهان بحق الرسل فقتل رسل محمد اليهم · وكان الخلفـاء يوصـــون قادتهم دائما بأن يسلكوا ذات المسلك الذى اتخذه من قبل الرسول الكريم فكانوا يدعون أولا الى الاسلام ثم الجزية ثم الحرب .. وهكذا كانت الحرب هى السهم الأخير الذى يقذف به المسلمون فى صدر أعدائهم ·

٣ ــ باطل بشهادة الاسلام نفسه فأساس الايمان بالاسلام العقل والفكر والنظر والاطمئنان القلبى والحرية .. ومن البديه أن هذه الأسس لا يمكن أن تقترن بوســـــائل الاكراه ، أو ألوان الارهاب .. فما قام السيف مقام حجة ، ولا ناب الاكراه عن دليل.

وواضـــح من قصة اسلام عمر أنه خرج بالسيف ليقتل محمدا وعلى حد قوله « هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلتها فأقتله » اذن قـد خرج ليحارب الدعوة الجديدة بالسيف وبالتهديد وبالقتل ولم يثبت التاريخ أن واحدا دخل الاســـلام تحت تهديد أو وعيد ، كما لم يثبت التاريخ أن مسلما شهر سيفه ليقتل عمر ان لم يؤمن بالاسلام .. ولقد ثبت أن عمر أسلم نتيجة لاقتناعه ــ كما أسلم غيره ــ بأن ما يدعو اليه محمـــد هو دين الحق ·· والاقتناع لا يأتى نتيجـة للتهـديد أو الاكراه ·

ولقد استغل خصوم الاسلام الآية الكريمة « **وأعـــدوا لهـم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـــل ترهبون به عـــدو الله**

وعدوكم » استغلالا سيئا يخدم مصالحهم ويحقق مآربهم ، ويؤكدون بها أن الاسلام قام بالقوة والارهاب والتهديد والوعيد .

والواقع أن القرآن حين أمر باعداد القوة كان يهدف الى أن العدو اذا علم أن المسلمين مستعدون متأهبون مستكملون جميع أسلحتهم ومعداتهم خافهم وتجنبهم ولم يتعرض لهم أو يتحرش بهم أو ينازلهم ولهذا دعت هذه الآية المسلمين للاستعداد للارهاب فقط وليس للقتال .

***

وبعد ..

فهذه صفحات كتبناها فى بيان حقيقة الاسلام من الوجهة الحربية ..

لم نقصد بها أن تكون ردا على هجوم ؛ أو دفاعا عن تهمة ، فانا لا نقبل أن يوضع الاسلام فى قفص الاتهام ..

ولكنا أردنا بها مجرد البيان كما فهمناه من كتاب الله ، وتبيناه من سنة رسوله وسيرة أصحابه ..

صفحات كتبناها قبل كل شيء للمسلم ، ليعرف بها حقيقة دينه ، ويعلم ــ من ثم ــ أن ترهات المرجفين صيحات حقد مكبوت ، وضغن موروث .

((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون)) .

